

علم الدلالة

المدرس المساعد : ظاهر محمد مراد

d.mured88@uomustansiriyah.edu.iq

الدلالة في اللغة: يبقى المعجم العربي شاهداً على الاستعمال الأول للكلمة، من خلال تتبعها في القرآن، والشعر، وما درج عليه اللسان العربي، ولذلك – ونحن في صدد تناول مصطلح الدلالة - لا بد لنا من التقصي العلمي لجذر الكلمة في معاجمنا العربية، وأول هذه المعاجم (معجم العين) للخليل الفراهيدي (ت175هـ) والذي يقول: "والدلالة: مصدر الدليل (بالفتح والكسر). لكن ابن دريد يفصل بينهما فيقول: "الدلالة: بالفتح حُرْفَةُ الدَّلَالِ. ودَلِيلٌ بَيِّنُ الدِّلَالَةِ، بالكسر لا غير" أما ابن منظور فقد ارتضى لغة الفتح على الكسر في كلمة (الدلالة) من الدليل، حيث يقول: "دَلَّلْتُ بهذا الطريق: عرفته، ودَلَّلْتُ به أدُلُّ دَلَالَةً، وأدَلَّتْ بالطريق إدلالاً. وهو الصواب من الأقوال. قال تعالى: {أَلَمْ تَرَأِ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا كَمَا أَنْ مِنَ الْإِيجَازِ هُنَا أَنْ نَذْكُرَهُ أَنَّ الدَّلَالَهَ – بالمعنى الذي نروم- لم تخرج عن معنى الدليل، والإرشاد، والهدي، وهذا لا يختلف عن التصور الحديث للمصطلح الدلالة في الاصطلاح: يخرج مصطلح الدلالة من اطاره اللغوي إلى الاصطلاح من خلال تصور العلماء له والذي يبدو موازياً - لأول وهلة - للتصور المعجمي، لذا ربما يشكل هذا العنوان الفرعي –الدلالة في الاصطلاح- إشكالاً بحد ذاته، وهو يتناول مصطلح الدلالة بمعناه العام؛ وذلك قبل أن يصبح علماً قائماً بذاته، فبين المصطلح بوصفه مبحثاً في علوم شتى، وبين المصطلح بوصفه علماً قائماً بذاته، مسيرة طويلة من التحول الدلالي، وتنوع الفهم، لكننا نحاول هنا أن نقيم مواشجة بين تصور العلماء القدامي له وبين التصور الحديث، وذلك من خلال التتبع الدلالي للمصطلح، في ظهوره الأول، فلعله كان مبحثاً لكنه بدا يتنامى ليصبح علماً قائماً بذاته، كسائر علوم اللغة الحديثة لقد ظهر المصطلح أول ما ظهر، في غضون علمي المنطق والفلسفة، على يد الفراي (ت339هـ) والذي نظر إلى اللفظ ودلالته بوصفهما اتحاداً ثنائياً نتاجه شيء واحد، فمثلاً لا يمكن الفصل بين الشيء ونفسه، لا يمكن الفصل بين اللفظ ودلالته، وقد قسم الألفاظ على سبعة علوم "علم الألفاظ المفردة، وعلم الألفاظ المركبة، وعلم قوانين الألفاظ عندما تكون مفردة، وقوانين الألفاظ عندما تركب، وقوانين تصحيح الكتابة، وقوانين تصحيح القراءة، وقوانين الشعر. ولعله ما أوصل أبا هلال العسكري (ت400هـ) للقول: "الدلالة عند شيوخنا ما يؤدي النظر فيه إلى العلم، والنظر في الدلالة يوجب العلم، وقد تسمى الدلالة دليلاً مجازاً. لكن الفهم توسع عند الباقلاني (ت403هـ) فوصل إلى مرحلة التجزئة: " الدال والمدلول والمستدل وبين مايعنيه كل منهما فذكر الدال هو ناصب الدليل وان المدلول مانصب له الدليل وان المستدل الناظر في الدليل

واستدلّاه"). حتى نضج الفهم العام للمصطلح عند الشريف الجرجاني (ت816هـ) ليصل إلى أن الدلالة هي كون الشيء يلزم بحالة من العلم به العلم بشيء آخر والشيء الأول هو الدال، والثاني هو المدلول ، كيفية دلالة اللفظ على المعنى باصطلاح علماء الأصول محصورة في عبارة النص وأشارة النص ودلالة النص و اقتضاء النص ووجه ضبطه وان الحكم المستفاد من النظم أما أن يكون ثابتاً بنفس النظم اولا، فالاول: إن كان النظم مسوقاً له العبارة والإشارة والثاني: إن كان الحكم مفهوماً من اللفظ فهو الدلالة أو شرعاً فهو الاقتضاء .

إن هذا التصور الأولي لمصطلح الدلالة والذي لا يمكن –بطبيعة الحال- أن يصطبغ بصبغة علمية تحت عنوان (علم الدلالة) كونه غير مستقل عن فرعيته في علوم المنطق والفلسفة والأصول إلى التصور اللغوي ؛ ما يدفعنا إلى تجزئة الاصطلاح إلى عدة تصورات علم الدلالة بين العرب والغرب

الدلالة في الفكر العربي: يقدم علم التفسي ، والبحث في غريب القرآن وإعجازه أمثلة رائعة للغويات النص التطبيقية في تحليل النصوص ، وربطها بوقائع حياة المتعلمين بها. بوصف القرآن كتاب الحياة؛ متجدداً بتجدد الحياة بكل تفرعاتها ، لذا فهو متماش مع تجدد اللغة ، فاللغة كما عبر عنها ابن جني (ت392 هـ) (أصوات يُعبر بها كل قوم عن اغراضهم إلا أن هذه الاصوات قد تكون واحدة في اللهجات العربية ولكن ما ترمز إليه يكون مختلفاً، وهذا من غير شك، كما يعد من مظاهر اختلاف اللهجات؛ لذا عُدَّت المعرفة اللغوية من أهم الأدوات التي استعان بها العلماء في فهم النصوص القرآنية وقد فرضت علوم القرآن على المسلمين أن يعمدوا إلى كتاب الله عز وجل فيفسروه ويتعقبوا ألفاظه وكانت الحاجة الى معرفة القرآن وغريبه سبباً في خوضهم في بحوث لغوية من المعنى والدلالة مثل تسجيل معاني الغريب في القرآن الكريم ، والحديث الشريف، وعن مجاز القرآن ، والتأليف في الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، وتأليف المعاجم وحتى ضبط المصحف بالشكل يُعدُّ في حقيقته عملاً دلاليّاً لأن تغيير الضبط يؤدي الى تغيير المعنى ، وهذا مدعاة لقولنا : إن الدراسة اللغوية القرآنية أضفت على اللغة العربية صفة الخلود والديمومة؛ ذلك لأن القرآن نص خالد بكل ما تضمنه

وتعد مسائل نافع بن الأزرق التي عددها (128) مسألة الموجهة لأبن عباس - وهو جالس بفناء الكعبة - الخطوة الأولى في تفسير غريب القرآن والاستدلال على الألفاظ الغريبة بالشعر العربي الذي ألفه العرب قبل نزول القرآن الكريم فهم فكان سجل حياتهم ولغتهم ويعد الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175) الرائد الأول للذين اهتموا بإيجاد صلة بين المدلولات المختلفة للكلمة الواحدة، ومحاولة إرجاعها إلى أصولها حيث بحث في تراكيب الكلمات من مواردها الأولية في الجذر البنيوي الحرفي ، ومن ثم تقسيمه على ما يتحملة من ألفاظ مستعملة ، وأخرى مهملة، لدى تقلب الحرف في التركيب. ثم توالى التأليف، فألف الفراء (ت7-2 هـ) كتابة (معاني القرآن) وألف أبو عبيدة (ت210 هـ) كتابة (مجاز القرآن). وغيرهم

ممن ألفوا ووضعوا تصانيف تدور في فلك الغريب وإيضاحه ، حتى إذا وصلنا إلى ابن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ) وله كتابان هما : (تأويل مشكل القرآن) و (تفسير غريب القرآن) والكتاب الثاني تكملة لكتابه الأول الذي يعد الأوسع

لقد شغلت قضية الإعجاز القرآني العلماء فأفردوا لها مؤلفات مستقلة تبحث عن الإعجاز وأسبابه ، والكشف عن الأسرار اللغوية والبلاغية فيه، منها كتاب (نظم القرآن) للجاحظ (ت 255 هـ) إلا أنه لم يصل إلينا ، وإنما ذكره الجاحظ في كتابه (حجج النبوة) وأشار إليه الباقلاني (ت 304 هـ) في كتابه (إعجاز القرآن) وكتابه (إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه) للواسطي (ت 306 هـ) ورسالة الخطابي (ت 388 هـ) في إعجاز القرآن

فعملية مقابلة الألفاظ بما تعنيه أصواتها من المعاني، باب عظيم واسع ، ولو تأملنا كتاب (معجم مقاييس اللغة) لابن فارس (ت 395 هـ) لوجدنا هذا الرجل صاحب نظرية في دلالة الألفاظ ، فكتابه يكشف عن الصلات القائمة بين الألفاظ والمعاني . ويشير ابن فارس في كتابه (الصاحي في فقه اللغة) إلى أن الأسماء علامات دالة على مسمياتها، فيعدد مرجعية الدلالة بثلاث محاور هي: المعنى، والتفسير، والتأويل، فالكلمة في الأصل تدل على معنى واسع يجمع المدلولات المتنوعة او المتفرقة، فليست المدلولات المتنوعة الدلالات هامشية أو دوال معنى للمعنى المركزي وهذا ما نجده عند عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) في كلامه على الدلالة من خلال نظرية النظم ، فهو يتكلم على الصيغة الفنية التي خلص إليها في شأن الدلالة، إذ يقول: (وجب ان يعلم ان مدلول اللفظ ليس هو وجود المعنى او عدمه

فالألفاظ دلالة على المعاني لا شك في ذلك، ولكن الحكم القطعي عقلياً بوجود المعاني التي تدل عليها الألفاظ هو الأمر المبحوث عنه وجوداً أو عدماً، فدلالة الألفاظ لديه مرتبطة بما تفيد من معنى عند التركيب، فجمالية المعاني تعود الى حسن التأليف ورقة التركيب، فالدلالة عنده فيما انتظم في الكلام ، فدلّت ألفاظه على معانيه جملياً

فضلا عن دراسات البلاغيين التي تناولت جانب المعنى ، نجد دراسات الأصوليين التي سبقت في كثير من نتائجها، دراسة المعنى في العصر الحديث ضمت هذه الدراسات موضوعات، مثل دلالة اللفظ من حيث العموم و الخصوص ، والمشارك، والمترادف، وتقسيم المعنى بحسب الظهور والخفاء وطرق الدلالة والتغيير الدلالي، والحقيقة والمجاز. اذ ينتج عن اعتبار السياق او عدمه في فهم النصوص القرآنية، والأحاديث النبوية، اختلاف في الاحكام الفهمية والمفاهيم العقائدية

الدلالة في الفكر الغربي: تضافرت جهود العلماء في السنوات الأخيرة في الدراسات الدلالية، لتصبح علما قائماً بذاته، كما أن العلماء لم ينقطعوا بجهودهم عن التراث حيث إنهم اتصلوا بجهود القدماء ليسير العلم -علم الدلالة- سيراً مستقيماً بين الماضي والحاضر مما يخلق نوعاً من الاتزان المعرفي لهذا العلم . وإن كانت لم تخرج في مفهومها الأولي عن (اتحاد شامل بإطار متكامل بين الدال والمدلول غير قابل للتجزئة

والفصل) وفي مساحة هذا المفهوم الأول أخذت البحوث تتوجه نحو استظهار مفهوم الدلالة والمفاهيم المتعلقة بها في ظل رؤى المحدثين، حين التفتوا إلى أن هذا الكم من التعميم قد يفقد مفهوم الدلالة الدقة والموضوعية والتي من الأجدر أن تنماز عن الموضوعات الأخرى. والحق أن للعلماء الغربيين النصيب الأوفر في البحث الدلالي بوصفه علماً قائماً بذاته، وإن كان متأخراً نوعاً ما إذا ما قورن الأمر بمفهوم الدلالة العام، والجدير بالذكر هنا أن لعلم النفس وعلم الاجتماع فضلاً بالغاً في نشوء علم الدلالة، فقد نهضت الدراسة الدلالية من منطقة علم النفس وعلم الاجتماع اللذين اتضحا غاية الاتضاح في الغرب، كما أن لظهور الدراسات الصوتية واللهجية المعتمدة على التجارب والآلات وما تؤدي إليه من نتائج دوراً بارزاً في رسم حدود هذا العلم، حتى كان لعلم الدلالة مناهج تناولت اللغات من الزوايا والبحث، فبحثت في الغرب أول ما بحثت دلالات الكلمات والاشتقاق اللغوي فيما يعرف باسم (الموفولوجيا) التعليمي والتاريخي والمقارن وما يتعلق بعلم التنظيم –القواعد- (سيمنتكس) من جوانبه التعليمي والتاريخي المقارن، كذلك الحديث عن الأساليب اللغوية شعراً ونثراً.
